محاضرات السداسي الثاني تاريخ المغرب الأقصى الحديث

محاضرة الدولة العلوية :

تمهيد عام :

مع النصف الأول من القرن 17 م تمكن العلويون من تأسيس دولتهم على يد الشريف سنة 1631 م بعدما بايعه سكان تافيلالت ، و خلفه ابنه محمد ما بين 1640م و 1664 م ، وجاء بعدهما رشيد الذي تولى حكم الدولة ما بين 1664 م و 1672 م حيث تمكن من القضاء على بعض الزوايا و القوى المحلية ؛ ليأتي بعدهم إسماعيل الذي حكم ما بين 1672م و 1727م و ليتمكن من توحيد البلاد و تقويتها لتصبح مهابة الجانب.

أولا. نسب العلويين :

ـ يسمى نسب العلويين "بسلسلة الذهب" ينحدر إلى محمد النفس الزكية ثم إلى علي إبن أبي طالب و فاطمة بنت الرسول صل الله عليه و سلم ، موطنهم الأصلي من ينبوع النخلي بالحجاز [1] ، نسبهم من أصح الأنساب و أول من دخل منهم المغرب الحسن بن قاسم في أوائل عهد الدولة المرينية و إستقروا بسجلماسة[2].

ثانيا. التطور السياسي للدولة العلوية :

ـ **محمد بن الشريف** (1640-1664 م) : كان أول من تمت له البيعة من أفراد الأسرة العلوية بسجلماسة بعد خروج أصحاب أبي حسون السملائي عنها سنة 1050 هـ ووافق عليه كل من

---

[1] . محمد الصغير الإفراني : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تحق : عبد اللطيف الشادلي ، ط1 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الرباط ، 1998 ، ص، ص 409 ، 410. ينظر أيضا : أبو القاسم الزياني : تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب : تحق ،رشيد الزاوية ، ط1 ، مطبعة الأمنية ، الرباط ، 2008 ، ص 77. أحمد بن خالد الناصري ، مصدر سابق ، ج 7 ، ص 03 .

[2] . محمود علي عامر و محمد خير فارس : تاريخ المغرب العربي الحديث ، دط ، الجمعية التعاونية للطباعة ، دمشق ، دت ، ص 78.

بسجلماسة [3] ، و لما تمت له البيعة سارع لمضايقة أبي حسون و أهل السوس ببلاد درعة ووقعت بينهما حروب فظيعة إنتهت بإنهزام أبي حسون وفراره إلى مسقط رأسه فأستولى بذلك محمد على درعة وعظم شأنه [4] ، ثم بايعه أهل فاس [5] ، فخشي الدلائيون برئاسة أبو عبد الله محمد الحاج الدلائي من ظهوره بالصحراء فقامت حرب حادة بينهما يوم السبت 12 من ربيع الثاني 1056 هـ سميت بوقعة القاعة و انهزم فيها مولاي محمد و تقدم فيها الدلائي إلى سجلماسة و إستولى عليها ثم أبرم صلحا اقتضى بتقسيم الصحراء بينهما [6] ، ثم إتجه المولى لتوسيع نفوذه نحو الصحراء الشرقية حيث دخل وجدة و شن غارات على تلمسان سنة 1654 م [7]، و عند خروج السلطان محمد من تافيلالت قاصدا تازة ثار عليه أخاه الرشيد إلى نواحي تلمسان سنة 1663 م و التقى الجيشان في معركة كبيرة سقط فيها محمد قتيلا من أول إصطدام برصاصة أصابته و ذلك يوم الجمعة 9 محرم 1075 هـ الموافق ل 2 أوت 1664 م و دفن ببني زناسن بأمر من أخيه و بمقتله إنضمت جيوش السلطان محمد برمتها لجموع أخيه الرشيد و دخلت في طاعته .[8]

السلطان الرشيد بن الشريف (1664 .1672 م) : بعد مقتل السلطان العلوي بايعت القبائل الشرقية من العرب و البربر أخيه الرشيد غير أن تافيلالت لم تقبل ببيعته و بايعت إبن أخيه محمد الصغير إبن السلطان محمد .[9]

ـ كانت تازة أول مدينة فتحها الرشيد و ذلك لتأمين طريق المغرب الشرقي إلى فاس فدخلها في 1665 م بعد حرب شديدة و بمبايعة أهلها [10] ، إتجه بعد ذلك إلى سجلماسة لحصارها و تمكن

---

[3] .محمد الصغير الإفراني : مصدر سابق ، ص 425.

[4] .أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، ج7 ، مصدر سابق ، ص 16 .

[5] .محمد الصغير الإفراني : مصدر سابق ، ص 425.

[6] .أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : مصدر سابق ، ص،ص 16 ، 17 .

[7] . نفسه ، ص 20.

[8] .نصيرة كلة ، المغرب الأقصى في عهد الدولة العلوية في كتاب الإستقصا للناصري ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب العربي الحديث و المعاصر ، إش ، حياة تابتي ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2018 .2019 م ، ص 96 .

[9] .أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : مصدر سابق ، ج 7 ، ص، ص 32 ، 33.

من فتحها بعد 6 أشهر سنة 1666 م بعد أن فر منها إبن أخيه محمد الصغير و أنصاره وعاد الرشيد إلى تازة التي إتخذها عاصمة مؤقتة لملكه [11] ، تحالف أهل فاس على محاربة الرشيد و عدم مبايعته و أمر رؤسائها بشراء الخيل و العتاد و إجتمعوا مع جيرانهم الحياينة و البهاليل و أهل صفر للحرب ضده لكنهم رجعوا منهزمين من غير قتال في 1665 م و في 1667 م زحف الرشيد إلى فاس و حاصرها 3 أيام فأصابته رصاصة في طرف أذنه و رجع سالما [12].

ـ دخل تافيلالت و المغرب الشرقي تحت سلطة الرشيد فقام أهل فاس و القبائل المحيطة بردعه فلم يجد صعوبة في هزمهم و ضرب حصارا على فاس حيث أرغمها على الإستسلام في جوان 1666 م و أمر بإعدام روؤسائها و بويع بها ثم [13] ، وفي سنة 1667م خرج الرشيد إلى الزاوية الدلائية غازيا و بعد معارك طاحنة تم الإستيلاء عليها في جويلية 1668 م [14] ، و بعدها توجه نحو مراكش وإفتتحها عنوة في أوت سنة 1668 م [15].

و من أهم أعماله أيضا أنه شرع في بعض الإنجازات العمرانية و صك العملة ، نظم جيشه حيث كان يمتلك قوة عسكرية مكنته من السيطرة على الأوضاع الداخلية و الخارجية [16]

ـ توفي الرشيد بمراكش في 9 أفريل 1672 م إثر إصطدام رأسه بفرع شجرة و هو راكب على فرسه[17].

---

[10] . محمد الصغير الإفراني : مصدر سابق ، ص427.

[11] . عبد الكريم الريفي ، زهرة الكم (مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة إلى عهد المولى إبن إسماعيل) ، تحق ، أسيا ببغدادة ، ط 1 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1992 م ، ص 124.

[12] . أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 33.

[13] . نصيرة كلة ، مرجع سابق ، ص 99 .

[14] . محمد الصغير الإفراني : مصدر سابق ، ص 404.

[15] . أبو العباس أحمد بن خالد الناصري : مصدر سابق ، ج 7 ، ص 33.

[16] . نصيرة كلة ، مرجع سابق ، ص 103 .

[17] . إبراهيم حركات ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 30.

المولى إسماعيل بن الشريف العلوي (1672 م . 1727 م) : بويع بمكناس عام 1672 م [18] ، حكم خلالها فترة طويلة إستطاع فيها أن يثبت و يقوي السلطة المركزية [19] ، حيث كون جيش من عبيد السنغال سمي جيش " عبيد البخاري "[20] ، و حين إكتمل إعداد الجيش و إطمئن إليه تمهدت له بلاد المغرب و ضبط الأمور كلها و ذلك بعد محاربات طويلة و منازلات عديدة مع الثوار كإبن أخيه أبي العباس مولانا أحمد بن محرز بن الشريف الذي ثار عليه بمراكش سنة 1088 هـ و ثار عليه أهل فاس و حاصرهم 15 شهرا إلى أن أذعنوا له [21] ، كما ثار ضده بعض شيعة الدلائيين فهزمهم هزيمة شنعاء كما اضطر لمواجهة إخوته الثلاث من أولاد المولى الشريف حين خرجوا عليه و أعلنوا الثورة [22] .

.و بعد أن نجح المولى إسماعيل في إقرار الأمن الداخلي إتجه إلى ما بقي للأمربيين من جيوب على الساحل محاولا تخليص البلاد من هذا الكابوس الذي ظل جاثما منذ نحو قرنين. [23]

تحرير الثغور:

تحرير طنجة : كان البرتغاليين قد تنازلوا عن طنجة عام 1661 م بعد أن حكموها ما ينيف عن قرنين فقد إحتلوها عام 1464 م فأرسل المولى إسماعيل جيشا على رأسه أبو الحسن علي إبن

---

[18] . محمد الصغير اليفراني : روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف و من تقدمها من ملوك الدول الإسلامية ، تحق ، عبد الوهاب بن المنصور ، ط 2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1995 م ، ص 18.

[19] . محمد علي داهش : العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث ، حولية كلية الإنسانيات و العلوم الإجتماعية ، ع 18 ، جامعة قطر ، 1995 م ، ص 164.

[20] . (ترجع هذه التسمية إلى أن السلطان ليضمن إخلاصهم و ولاءهم اشعرهم انهم لا يقومون بواجب الفتال الا حسب ما يقتضيه الدين و يفرض عليهم) (ويقال انه جمع اعيانهم و احضر نسخة من صحيح البخاري وقال لهم " انا وانتم عبد لسنة رسول الله صلي الله عليه وسلم وشرعه المجموع في هذا الكتاب فكل ما امر به نفعله و كل ما نهي عنه نتركه وعليه نقاتل" فكانو يعملون نسخة من صحيح البخاري و حال ركوبهم يقدمونها امام حروبهم –كتابوت بني اسرائيل – ولذا قيل لهم عبيد البخاري) شوقي عطا الله الجمل :المغرب الكبير في العصر الحديث ، ط1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1977 م ، ص 216.

[21] . محمد الصغير الإفراني : مصدر سابق ، ص 430 .

[22] . شوقي عطا الله الجمل ، مرجع سابق ، ص 215.

[23] . صلاح العقاد ، مرجع سابق ، ص 65.

عبد الله الريق حيث ضيق الحصار على الإنجليز بها فأضطروا إلى إخلائها بعد أن خربوا و هدموا أسوارها فدخلها جيش المولى إسماعيل و جدد بنائها من جديد [24] .

تحرير المعمورة (المهدية) : إحتل الإسبان المعمورة سنة 1614 م و تعرضوا دوما لهجمات أهل سلا و الريف و في سنة 1681 م جدد المجاهدون الريفيون الحصار على المعمورة و أصبحت بحكم المفتوحة و قيل أنهم توقفوا منتظرين حضور المولى إسماعيل الذي سارع لحضور الفتح و إستسلمت حاميتها و ترك المولى إسماعيل الغنائم لمجاهدي الريف الذين كانوا مرابطين عليها .[25]

تحرير العرائش : وجه المولى إسماعيل جيشه لمحاربة الإسبان في العرائش التي كان محمد الشيخ المأمون إبن المنصور السعدي قد سلمها إليها في 2 نوفمبر 1610 م مقابل مساعدته على إقصاء منافسيه على العرش من الأمراء و في 1688 م عمل المولى إسماعيل على تطويقها بالمجاهدين و أجهزة الحصار و إستمر ذلك 5 أشهر بقيادة أحمد بن حدو بينما حصن الإسبان بحصن القبيبات الذي شيده المنصور الذهبي في حين قام المغاربة بتلغيم جوانب السور من جهة الميناء ثم إقتحموا المدينة و فتكوا بالنصارى و إستسلم الباقون و المعتصمون بالحصن و كان دخول العرائش في 1 نوفمبر 1689 م .[26]

تحرير أصيلا : ظل ثغر أصيلا تابعا للإحتلال الإسباني منذ 1581 م بعد خضوعه للبعد خضوعه للإحتلال البرتغالي منذ العهد الوطاسي و بعد تحرير العرائش حوصرت أصيلا مدة سنة ثم إستأمنوا السلطان مولاي إسماعيل لكنهم لم يطمئنوا إلى عهده فغادروا المدينة ليلا عن طريق

---

[24] .شوقي عطا الله الجمل ، مرجع سابق ، ص 217.

[25] .محمد خير فارس و محمود علي عامر : مرجع سابق ، ص 92 .

[26] .إبراهيم حركات : مرجع سابق ، ص، ص 47 ، 48 .

البحر سنة 1691 م و عمرت المدينة بأهل الريف الذين يعرفون المنطقة أكثر من غيرهم و الذين يملكون خبرة حربية جيدة.[27]

.و قد فشل المولى إسماعيل في إسترجاع موانئ سبتة و مليلة و هكذا لم يبقى في عهده من الجيوب الأوروبية سوى هذين الميناءين بيد الإسبان بالإضافة إلى مورغان بيد البرتغاليين و التي سينجح حفيده مولاي محمد في إستردادها سنة 1766 م [28].

ـ و بعد وفاة السلطان إسماعيل سنة 1727 م تغيرت الدولة تغيرا مفاجأ [29] ، فسياسة المولى إسماعيل و إن وطدت السلطة العلوية فقد كان توازنها هشا و حملت في طياتها جذور الأزمة التي إندلعت مباشرة بعد وفاته حيث إنقلب عبيد البخاري إلى عنصر تفكك السلطة و إضعافها بعد أن كانوا أداة أمنها و أصبح الجيش يتدخل لتنصيب هذا الأمير أو عزل ذاك حسب هواهم و مصالحهم و عاشت البلاد أزمة عرفت بأزمة الثلاثين سنة بالإضافة الى ما لعبته مسألة ولاية العهد في تصدع البيت العلوي و تتالي تمرد الإخوة و الأبناء .[30]

ثالثا. الحياة الإقتصادية في العهد العلوي :

ـ تشكل الحياة الإقتصادية بمختلف أنشطتها وقطاعاتها الدور الطلائعي في حياة الفرد والجماعات بما توفره من إمكانيات العيش و الإستمرار .

1. الزراعة :

[27] . نفسه ، ص،ص 48 ، 49 .

[28] . صلاح العقاد ، مرجع سابق ، ص 65 .

[29] عبد الكريم غلاب : مرجع سابق ، ص 19.

[30] . جمال بن طاهر و اخرون : مرجع سابق ، ص 30.

إعتمد المغرب على الزراعة بالدرجة الأولى خلال عصر العلويين فإزدهرت في عهدهم ،حيث وصف عدة مؤرخين خيرات المغرب إذ يتميز بخصوبة أراضيه التي تنتج عدة محاصيل منها : القمح ، الذرة ،الخضر،الفواكه ، الزيتون، التبغ، السكروالملح...،حيث كانت منطقة الريف والمناطق الساحلية للمحيط تتوفر على أشجار الزيتون،في حين تميزت مناطق الأطلس بجودة شعيرها وكثرة كرومها والخضروات تزرع حول المدن ،كما تنوعت الفواكه من برتقال،تين،لوز،جوز...والنباتات كالحناء والكتان .[31]

ظل هذا القطاع يعتمد على أدوات وأساليب ونظرا لجودة التربة وبساطة التقنيات التي كانت كافية لتلبية حاجيات السكان،فإن الفلاحون المغاربة لم يجدوا ضرورة لتطوير تقنتياتهم.[32]

.كانت الملكيات الزراعية في عهد العلويين متنوعة بحيث نجد الملكيلت الجماعية وأملاك الخواص وأملاك الأحباس وأملاك المخزن تقتطع لبعض القبائل المرحلة وعناصر الجيش ولبعض العائلات والزوايا ، في حين كانت الملكيات الفردية تتوزع على كبار الملاكين من الأسر الثرية بالمدن لهذا كانت الأراضي الزراعية موضع نزاع بين الجماعات أو القبائل .[33]

.في القرن 19 م شهد المغرب إهتماما كبيرا بالري و الزراعة خاصة في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان الذي قام بإدخال إصلاحات في هذا القطاع حيث اعتنى بزراعة قصب السكر و جلب مختصين لتصفيته من مصر في مصنع أكتال بمراكش كما اهتم بترقية الفلاحة و جلب آلة لدرس الزرع كما جدد حفر قنوات السقي و حاول حفر الآبار ثم اهتم بزراعة القطن بإقليم دكالة .[34]

2.الصناعة :

---

[31] .إبراهيم حركات:مرجع سابق،ج3،ص،ص 495،500.

[32] .أ.ج.هوبكنز:التاريخ الإقتصادي لإفريقيا الغربية ، ترجمة : أحمد فؤاد بلبع ،دط،الهيئة العامة للمكتبة الإسكنرية، القاهرة ،ص،ص 35،36 .

[33] .نصيرة كلة : مرجع سابق ، ص 210.00

[34] .نصيرة كلة : مرجع سابق ، ص 212.

ـ يزخر المغرب الأقصى بالعديد من الثروات المعدنية الهامة كالحديد و الرصاص و الذهب و الفضة و القصدير و النحاس خاصة في درعة و سوس أما الصناعات اليديوية فأرتكزت في تطوان و فاس [35] ، و هو ما أدى إلى تعدد مختلف الأنشطة الصناعية بالمغرب منها :

أ.الصناعة الغذائية : كانت هذه الصناعة تعتمد على طحن القمح و عصر الزيتون .

ب .الصناعة النسيجية : و كانت تلقى رواجا كبيرا في الأسواق الداخلية و الخارجية ، أهمها صناعة الملابس (الصوف ، القطن ، الحرير، البرانس ، الأفرشة) ، صناعة الدباغة بالإضافة إلى صناعة الأحذية أهمها البليغة .

ج .الصناعة المعدنية : كانت تقليدية فلم تتعدى صناعة آلات و أدوات بسيطة كالمسامير و السلاسل ، أما صناعة الأسلحة فكانت مقتصرة على صنع الخناجر و السيوف و البنادق .

د .صناعة الخشب : استغلوا الخشب في صنع الحبال ، المحامل ، القفف ، الأسل لصنع الحصائر .

هـ.صناعة الخزف : و شملت الأكواب ، المجامير ، القصاع ، البراريد و غيرها من الأدوات المنزلية [36].

. و قد تطورت الصناعة في المغرب الأقصى خلال القرن 18 م و وصلت إلى أوجها خلال القرن 19 م عندما إحتلت تطوان مكانة هامة في الصناعات الكثيفة و اليدوية ، فمونت الجيش و المخزن بالملابس و مختلف الحاميات كما زودت المخازن بالذخائر و الأسلحة المحلية كما أنشا مصلح

[35] .إبراهيم حركات : مرجع سابق ، ص 202 .

[36] .نصيرة كلة : مرجع سابق ، ص ، ص 217 ، 218 .

لتكرير السكر في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان ، و أنشئت مطحنة مائية لطحن القهوة و مصنعا لصناعة البنادق و المدافع الخفيفة بفاس [37].

3. التجارة :

إنعكس توفر الإنتاج الزراعي و الصناعي إيجابا على حركية التجارة الداخلية و الخارجية

أ. التجارة الداخلية :

ـ كانت تقوم حول المنتجات الفلاحية و المنتوجات الصوفية و المصنوعات النحاسية ... و كانت تجرى داخل المدن في أسواق يومية و بالبوادي في أسواق أسبوعية [38] ، في الهواء الطلق على إمتداد المناطق الزراعية أو في الجبال و أكثرها رواجا يتواجد في مناطق إلتقاء الطرق الكبيرة أو بالقرب من ضريح أو زاوية مما يزيد من أهميتها ، و تعقد الأسواق الأسبوعية كل يوم أربعاء أو خميس حيث ينقل التجار البضائع من العرائش و القصر و سلا أو فاس [39] ، هذه الأخيرة كانت تمثل عاصمة إقتصادية تجارية تقصدها القوافل التجارية من مختلف المناطق .[40]

. و أكبر خط تجاري داخلي يمتد من تطوان إلى فاس ثم إلى تافيلالت و من تافيلالت إلى السودان عبر الساورة و هناك طريق آخر ذو أهمية الرابط بين السوس ، الحوز ، الشياظمة ، وحاحا و منه تشحن الفضة و النحاس لضرب العملة المغربية .[41]

---

[37] . إبراهيم حركات ، مرجع سابق ، ص 503.

[38] . نصيرة كلة : مرجع سابق ، ص 218.

[39] . ألبير عياش : المغرب و الإستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية ، تر : عبد القادر الشاوي و نور الدين سعودي ، ط 1 ، دار الخطابي ، دم ، 1985 ، ص 39 .

[40] . محمد بوجندار : مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح ، تحق ، عبد العزيز الخمليشي ، ط1 ، مطبعة الأمنية ، الرباط ، 2012 ، ص 104.

[41] . نصيرة كلة : مرجع سابق ، ص 220 .

و مما يلاحظ على التجارة الداخلية نشاط فئة اليهود و شيوع ظاهرة إحتكار بعض المواد من جهة أو لصالح شخص معين مما أدى إلى إرتفاع أسعارها .[42]

ب. التجارة الخارجية :

1. مع أهم دول إفريقيا الغربية :

ـ كانت تتم عبر طريقان يتصلان معا بتمبكتو أحدهما من تافيلالت و الآخر من وادي نون مرورا بالصحراء الغربية و هناك طريق من مراكش إلى تمبكتو و طريق آخر من فاس إلى ساحل الذهب[43] ، و طريق بحري واحد إنطلاقا من تطوان أشار إليه التمكروتي [44].

ـ أهم الصادرات و الواردات : يصدر المغرب لهذه المناطق الملح ، التبغ ، الجلود ، التمر ، المنسوجات ، و يؤدي السودانيون مقابل ذلك التبر أو سبتائك ذهبية أو رقيق أو ثياب قطنية و في المقابل تستورد المغرب التبر ، المصنوعات الذهبية و الفضية ، ريش النعام و الرقيق .[45]

2. مع أهم الدول العربية :

أ. مع الجزائر:

.كان للمغرب علاقات تجارية تقليدية مع المشرق العربي و الجزائر التي صدرت للمغرب عن طريق البحر السيوف و الخناجر و الأقمشة الهندية و عن طريق البر الوبر ، الصوف و الشمع و عن طريق الصحراء الذهب ، ريش النعام ، العاج ، العنبر ، العلك ، التمر ، البرانس .....أما صادرات

---

[42] .إبراهيم حركات ، مرجع سابق ، ص 505 .

[43] .نصيرة كلة : مرجع سابق ، ص 221.

[44] .علي بن محمد التمكروتي: النفحة المسكية في السفارة التركية ،تحق :عبد اللطيف الشادلي، دط ، المطبعة الملكية ، الرباط ،2002 ، ص 28.

[45] .نصيرة كلة ، مرجع سابق ، ص 223.

المغرب إلى الجزائر الحبوب ، الجلود ، الصوف ، الحناء ، العسل ، التوابل ، الشاي ، السكر ، الصابون ، الشواشي ، البخور ، البنادق .[46]

ب. مع مصر:

كان بمصر سوق عرف بسوق المغاربة حيث كان يعرض به أهل المغرب الأقصى بضائع البلاد كما كانوا يستوردون حرير حلب منسوجات الهند ، عطور اليمن و بنها بالإضافة إلى مجموعة من رقيق الحبشة [47] .

3. مع أهم الدول الأوروبية و الو م أ :

ـ كان الإقبال شديد على الأصواف و الجلود المستوردة من المغرب و حازت سلا و تطوان خلال العهد الإسماعيلي السبق لإستقبال البضائع الأوروبية قبل أن يعاد فتح الموانئ الأخرى و ترميمها ، و تمت التجارة مع أوروبا بين فئة اليهود و القناصلة .

. أعتبرت قادس مستودعا للبضائع الإنجليزية و الهولندية و المغربية التي تم نقلها بواسطة السفن البرتغالية وتمتعت بريطانيا بصفة الدولة المفضلة خاصة بعد ان تخلت فرنسا عن منافستها بإحتلال الجزائر بالإضافة إلى سيطرتها على منطقة جبل طارق الذي مكنها من الهيمنة على الصادرات البريطانية المجلوبة إلى المغرب.

ـ وقد كانت الصويرا محطا لسفن ال.وم.أ التي تنقل منتجات الصحراء و السودان المودعة بميناء الصويرا ثم تبحر إلى غرب الهند حاملة المنتجات الأمريكية .وقد إرتبطت الو.م.أ بمعاهدة تجارية مع المغرب منذ 1786 وتم تجديدها في 1836 .[48]

---

[46] .نفسه ، ص 224.

[47] . نفسه.

[48] ابراهيم حركات :مرجع سابق ،ص،511.

محاضرة. الحياة الإجتماعية والثقافية للدولة العلوية :

أولا. الحياة الإجتماعية :

1. عناصر السكان :

أ. البربر : هو العنصر الأصيل الذي سكنت قبائله و بطونه و عشائره منذ عصور غابرة منطقة المغرب كانت تسميتهم الأمازيغ و تعني الحر و هم أغلبية السكان .

ب. العرب : دخل العرب بلاد المغرب أثناء الفتح الإسلامي و مع موجة الهجرة الكبرى لقبائل بني هلال و بني سليم خلال منتصف القرن الخامس هجري .[49]

و يذكر أنهم سكنوا منطقة دكالة و ضواحي ميناء آسفي على المحيط و البعض الآخر سكن منطقة حاحة و سهولها [50] ، و كان بنو سليم يفرضون على سكان درعة الإتاوات و يقصدون تنبكتو مرة في السنة من أجل التجارة .[51]

ج. الأندلسيون : وفد هذا العنصر إلى المغرب منذ عهد الحكم الربضي بداية من القرن 3 هـ نتيجة لوقعة الربض المشهورة (هي ضاحية بجنوبي قرطبة وقعت بها حادثة سنة 189 هـ بسبب صلب الحكم ل 72 رجلا بقرطبة و في سنة 202 هـ هاج أهل الربض مرة ثانية) ، و بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس هاجرت أفواج كبيرة إلى المغرب الأقصى حاملين ثقافة و حضارة كبيرة إستفاد منها أهل المغرب خاصة في مجال الحرف و الصناعات و الزراعة و استقروا في سلا و تطوان و مراكش [52]

---

[49] . نصيرة كلة : مرجع سابق ، ص.ص 232. 234 .

[50] . الحسن الوزان : وصف إفريقيا ، تر : محمد حجي و محمد الأخضر ، ج 1 ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 م ، ص ، ص 51، 52 .

[51] . مارمول كاربخال : إفريقيا ، تر ، محمد حجي و آخرون ، ج 3 ، دط ، دار المعارف الجديدة ، الرباط ، 1984 م ، ص 146 .

[52] . نصيرة كلة : مرجع سابق ، ص 236.

د. اليهود : كانت لهم إقطاعات كبيرة و ثروات هائلة و ازداد عددهم أكبر في عهد السلطان الرشيد حيث دخل عدد منهم في خدمته بعد طردهم لشبه جزيرة الإيبيرية في العقدين الأولين من القرن 17 م وقام السلطان إسماعيل بإخراجهم من مدينة مكناس مما يدل على أنهم كانوا يمثلون شريحة إجتماعية لها وزن كبير خاصة في توفير السند المالي للمخزن من جهة و أعمال التجارة و الوساطة بين المغاربة و المسيحيين من جهة .

هـ. النصارى : كانت علاقتهم بالمغرب تتجسد في الحروب البحرية و المعاهدات حيث قام السلاطين بعقد معاهدات كثيرة مع الدول الأوروبية و نتيجة لذلك نجد عدة قنصليات بالمغرب من مختلف الدول المسيحية و أهمها الفرنسية بسلا .[53]

و. السود : كون السود شريحة من المجتمع المغربي منذ عصور ساحقة ، و في العهد العلوي كون منهم السلطان إسماعيل جيشا و قام بتزويجهم و تربية أبنائهم لضمان ولائهم و حماية مصالح الدولة .[54]

2. فئات المجتمع و طبقاته :

. تختلف فئات المجتمع و طبقاته في المدينة عنه في الريف ففي المدينة :

نجد على رأس الهرم **الشرفاء** ثم طبقة **العلماء** وفي المرتبة الثالثة نجد **الفئة الوسطى** المكونة من **التجار** و **الحرفيين** و في آخر الهرم نجد **العامة من الناس**.

. بينما تنقسم فئات المجتمع في الريف إلى 3 طبقات واضحة متماثلة هي : **الشرفاء** ، **المرابطون** ، ثم تأتي **طبقة العوام من الناس** و أغلبهم من قبائل البربر و في الأخير **طبقة الحراطين** و تعني السود المجلوبين من السودان .[55]

---

[53] . نصيرة كلة : المرجع السابق ، ص 239 .

[54] . محمد رزوق : دراسات في تاريخ المغرب ، ط1 ، إفريقيا الشرق ، الدرا البيضاء ، 1991 م ، ص، ص 18 ، 19 .

3.بعض العادات و التقاليد :

أ. العقيقة : هي عبارة عن إحتفال بوضع مولود فإذا كان المولود ذكرا يذبح للنفساء دجاجة أو دجاجتين لتستعمل مرقها و إذا كان المولود أنثى يذبح لها ديك أو ديكين[56] ، أما ليلة العقيقة إذا كانت النفساء من حظايا السلطان أو من أقربائه يأمر بإرسال الدعوات للأعيان لحضور العقيقة و تقام بالقصر أو برحابه مع مختلف أنواع المأكولات و الحلويات و تضرب الطبول و تضرب المزاميل و في يوم الأربعين تقام داخل القصر حفلات لإغتسال النفساء و حلق رأس المولود أما إذا كانت النفساء خارج القصر فإن الإحتفالات تقام بمقر سكناها و طبقا للظروف و الأحوال الإجتماعية [57].

ب . الختان : إذا بلغ الطفل السادسة أو السابعة من عمره أحتفل بختانه و تقام حفلة عظيمة لصبغ أيدي و أرجل الصبي بالحناء .[58]

ج. الأعراس : في العهد العلوي كان السلطان يصدر أوامر إلى الرعية بحضور المجلس ليحدد يوم لإعلان زواج البنين و البنات و يسجل في سجل خاص يقيد فيه الأفراد الإسم النسب الحرفة المسكن الحالة الإقتصادية و يعين يوم يجعل فيه وليمة العرس و يأمر بإتيان المعنيين بالزواج

---

[55] .نصيرة كلة : مرجع سابق ، ص.ص 241. 245 .

[56] .عبد الرحمان بن زيدان : العز و الصولة في معالم نظم الدولة ، ج 1 ، دط ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1961م ، ص ، ص 67 ، 68 .

[57] .نصيرة كلة : مرجع سابق ، ص 251 .

[58] .عبد الرحمان بن زيدان : مصدر سابق ، ص 69.

من رجال و نساء فإذا كان العروسان من عائلة ملكية يقام العرس بالقصر و إذا كان من الرعية يعطى لهم ما يحتاجونه لإقامة العرس بمنازلهم حسب الحاجة .[59]

د . اللباس : لبس أهل البوادي رأكسية من قمصان و سروايل الكتان أو برانس الصوف و يلفون رؤوسم بعمامات بيضاء في حين تتلثم النساء في البادية [60].

أما البربر فكانوا يلبسون ثيابا تدعى الكساء و يتأزرون من فوط الصوف و يضعون على رؤوسهم قطع من نسيج الصوف و لا يحمل القلنصوة منهم إلا الشيوخ و الفقهاء .[61]

أما أهل المدن كانت ثيابهم تتكون من سترة ضيقة و عباءة واسعة و برنس بالإضافة إلى سراويل الكتان بينما النساء تنوعت ألبستهم من قميص و ثياب عريضة الأكمام و إستعمالهم للحرير ، كما نميز الأعيان بإقبالهم على الأثواب الأوروبية المستوردة و عامة الناس كانوا يكتفون بالمنسوجات المحلية [62] .

فيما يخص اليهود لم يكن يسمح بلهم بإرتداء غير السواد عكس نسائهم فقد كن يرتدين الثياب المزركشة بألوان رائعة و المزخرفة بخيوط الذهب .[63]

ثانيا . الحياة الثقافية :

. عرف المغرب خلال العهد العلوي تحولات فكرية، ثقافية، علمية ،أدبية كبيرة أضفت عليه طابعا فريدا من نوعه .

---

[59] . نفسه ، ص ، ص 82 ، 83 .

[60] . نصيرة كلة : مرجع سابق ، ص 247 .

[61] . الحسن الوزان : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 96 .

[62] . نصيرة كلة : مرجع سابق ، ص 248 .

[63] . إبراهيم حركات ، ج3 ، مرجع سابق ، ص 475 .

أولا .نظام التعليم :

1.عناصر التعليم :

أ.التعليم الأولي (الإبتدائي):في هذه المرحلة كان الفقهاء يقومون بتلقين العلوم وتدريس الكتب في حدود الشريعة الإسلامية والمذهب المالكي (حروف الهجاء،كيفية الرسم والضبط والتجويد)، ويتم داخل الكتاب(المسيد) الملحق في الغالب بالمسجد ويبدأ فيه التلميذ بحفظ القرآن .

ب .التعليم الأعلى (العالي) : في هذه المرحلة من التعليم ينتقل الطالب إلى المدينة حيث يستطيع دراسة علوم جديدة و يقصد طالب العلم أحد الجوامع أو المساجد أو الزوايا لكي يتلقن بها العلو اللغوية والفقهية ، ويبدأ الطالب بإستعمال نصوص أساسية كموطئ مالك وصحيح البخاري في الحديث النبوي والإطلاع على أمهات الكتب الأصلية والمذاهب وشرحها ، فالتعليم في العهد العلوي كان يعتمد على قدرات الإستظهار وحشو الذاكرة.

2.أجهزة التعليم :

أ .أماكن التعليم : كانت أماكن التعليم تتمثل في الكتاتيب ، الجوامع ، المدارس ففي كل قرية كان هنالك مسجد وكتاب و كانت بعض كتاتيب القرى تعلم الروايات القرآنية أما المدارس فكانت تدرس الروايات القرآنية ، العلوم الفقهية واللغوية .[64]

ب .مضمون التعليم وطرقه :

.المواد المدروسة : ظل العلم محصورا عند قضايا الدين وأهمها :

.علم التفسير: يدرس في الغالب على تفاسير ذي الجلالين والبيضاوي والتسهيل لإبن جزي .

[64] .نصيرة كلة: مرجع سابق ،ص ،ص 293 ، 294 ،295 ، 296 .

.علم القراءات : يتعلق بقراءة القرآن ، علم الحديث والسيرة (صحيح البخاري ، صحيح مسلم ، ثم موطأ الإمام مالك) ، علم التوحيد ، علم الفقه ومن أشهر كتبها : مختصر ، علم الأصول ، علم النحو و الصرف و هو أول ما يقرأه التلاميذ فيبدؤون بكتاب الأجرومية ثم ألفية إبن مالك ، الأدب و اللغة ، علوم البلاغة ، علم المنطق و الكلام ، علم التصوف ، الأخلاق ، الفلسفة ، القصص و العلوم الأخرى كالحساب ، التوقيت ....

.طرق التدريس :

ـ تختلف طرق التدريس أو تتقارب بين بعض المدرسين حسب نوع تكوينهم و مؤثراتهم التربوية و التثقيفية و كانت طريقة تدريس العلوم و الكتب تختلف بإختلاف الطبقات و المدرسين و الطلبة و تعتمد في الغالب على أسلوبين هما :

أ.طريقة شرح المتون شرحا مختصرا مع الإكثار المقروء و قد إعتمدها الفقهاء كثيرا .

ب .طريقة التحقيق و التدقيق و الإكثار من النقول و هي لا تسمح بختم الكتب الكبيرة في مدة قصيرة و كلا الأسلوبان يعتمدان على الحفظ دون الفهم في الغالب .[65]

ثانيا .المدارس :

ـ تم إنشاء عدد كبير من المدارس و إتخاذ الزوايا و المساجد مراكز للتعليم ، كما أنشئت جل المدارس من إيرادات بيت المال أو الأوقاف في حين إنتشرت الكتاتيب أو مدارس الطلبة كمدرسة مسجد العرائش و المدارس الملحقة بضريح الشيخ التابع لها و بمسجد بريمة بمراكش و مدرسة الصهريج و مدرسة قصر الدار البيضاء بمكناس و مدرسة المسجد الأزهر و مدارس الصويرة و

[65] .نصيرة كلة ، مرجع سابق ، ص ، ص 303 ، 304 ، 305 .

هذه السلسة من المدارس أنشئت في عهد سيدس محمد بن عبد الله و قد توزعت في الجهات التي إنتصب عليها إهتمام الدولة .

كما وجدت في فاس مؤسستين و هما : مدرسة الشراطين (شيدت في عهد مولاي الرشيد تحتوي على 100 غرفة و كان يقصدها على الخصوص طلبة من تافيلالت و تازة و المناطق الشرقية) و مدرسة باب الجيسة (بناها السلطان محمد بن عبد الله كما بنى المسجد المجاور لها و هي سفلية لا طابق لها و تحتوي على 20 غرفة و كان يقصدها طلبة جبالة) [66]

العلاقات الخارجية للدولة العلوية :

1.العلاقات العلوية الجزائرية (العثمانية) :

مع تولي العلويين الحكم في المغرب استطاع الأتراك اقناعهم بفكرة رسم الحدود بين المغرب و الجزائر واستطاعت البعثات اقناع الشريف محمد العلوي (1636-1664) بكتابة تعهد في ذلك لكن مع هذا كله ظل العلويين متمسكين بفكرة ضم الواجهة الشرقية للمغرب و تجلي ذلك في كثرة العملات التي قام بها المولي الرشيد ثم من بعده المولي اسماعيل [67]

لقد وصل التدخل الجزائري العثماني في الشؤون المغربية أوجه في النصف الأخير من القرن 17م مع حصول العلويين شرفاء المغرب الاقصي علي العرش ووجدت الاسرة العلوية مضايقة من الجانب العثماني المستقر بالجزائر الذي يؤيد منازعي السلطة بالمغرب فاختار حكام الجزائر جانب الدلائيين لتأسيس امارة مستقلة في منطقة شمال المغرب مما يعني ان الجزائر العثمانية اتخذت منذ البداية موقفا عدائيا ازاء الدولة العلوية فاتسمت هذه العلاقة بالتوتر و التازم

---

[66] .إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص ، ص 534 ، 535 .

[67] - موسي شرف : مرجع سابق ، ص 45.

أحيانا و الحروب تارة أخري وهذا منذ أول غارة قام بها السلطان محمد على منطقتي قورارة و توات 1808م[68]

قام المولي محمد بن علي الشريف بالهجوم علي قبيلة بني يزناسن وهي قبيلة بربرية تابعة للجزائر تستقر بالغرب من وجدة موالية للأتراك وأغار علي جميع المناطق الشرقية لبلاد المغرب حتي وصل تلمسان لكن أهلها تمكنوا من طرده وكرد فعل لهذه الغزوات قام احمد باشا حاكم الجزائر بارسال حملة عسكرية لمواجهة غارات ابن الشريف العلوي التي انتهت بعقد معاهدة تم بموجبها تخلي الجزائر عن أراضي غربي تافنة الي وادي ملوية لصالح المغرب العلوي [69]

وبعد ان حدد المولي الرشيد المعاهدة المبرمة مع ايالة الجزائر ليتفرغ بعد ذلك للاستيلاء علي المغرب المجزأ الي امارات و لكنه أغار من جديد علي قبائل بني يزناسن الموالية للأتراك العثمانيين و مالبث أن انسحب الي تازة مكملا مشروعه التوحيدي للمغرب [70]

وتابع مولاي اسماعيل مشروع أخويه للتوسع في الجزائر بأن شن هجوم عام 1676 في المناطق الصحراوية لاستنفار القبائل العربية الي جانبه و تجمع قوي اجتماعية جزائرية مضادة للحكم العثماني لكنه سرعان مااصطدم بالجيش العثماني و ألحق الهزيمة بقوات مولاي اسماعيل و من معه من قبائل المنطقة .[71]و لم يسمع السلطان الا ان يقبل عرض اللأتراك مساندتهم واقرار الحدود القديمة وفي سنة 1682م أعلن الأتراك مساندتهم لابن محرز واجتاحوا منطقة بني يازناسن فردهم الجيش المغربي في وطاردهم حتي تلمسان بقيادة مولاي اسماعيل [72]

---

[68] - حنيفي هلايلي :مرجع سابق ، ص86.

[69] - موسي شرف: مرجع سابق ،ص 47،48.

[70] - حنيفي هلايلي : مرجع سابق ، ص 69.

[71] - محمد علي الداهش :مرجع سابق ، ص،ص 164،165.

[72] - ابراهيم حركات :مرجع سابق ، ص،ص 52،53.

وعلي الرغم ان المولي اسماعيل حقق انتصارات عديدة ضد اللأتراك فانه كاد أن يلقي حتفه علي أيديهم في مواجهات أخري ومن ذلك أنه دخل تلمسان في 1701 م وتمكن من أخذها منهم ولما سار بجيشه الي غاية نهر الشلف دارت بينه و بين الأتراك معركة عنيفة كاد أن يصاب فيها و يهلك وأسر الأتراك ثلاثة آلاف جندي ، وبدورهم قام الأتراك بمكاتبة المولي اسماعيل مطالبين اياه بالتوقف عند الحدود التي اتفقوا بها مع أسلافه واتخاذ واد التافنة حدا فاصلا بين الدولتين [73]

وفي مرحلة ما اضطر المولي اسماعيل الي تقبل الصلح مع الجزائريين مرة اخري و لكن هذه المرة بطلب من السلطان العثماني نفسه الذي أوفد بعثة الي المغرب وعلي اثرها أرسل الولي اسماعيل الي الجزائر هيئة تتألف من مائة و عشرين شخصا فيها ابنه عبد الملك ووزيره والقاضي و المفتي و عدد من المرابطين و طلب الصلح مع ايالة الجزائر التي رحبت بالمبادرة ووافقت عليها بتاريخ 1103[74]

ورغم الصلح فان التطلع المغربي لطرد العثمانيين من الجزائر استمر بدلالة تشجيع المولي اسماعيل لأصحاب الطرق الصوفية وبعض القبائل العربية المناهضة للحكم العثماني لشق عصا الطاعة وأمدهم بالأموال و كل ذلك لاضعاف سلطان العثمانيين في الجزائر واستمر التوتر في العلاقات حتي عام 1708م حيث شهدت بداية طيبة للانفراج من التضامن الاسلامي لمواجهة الخطر الأوروبي المشترك[75] ، ومع فتح الأتراك مدينة وهران التي كانت بيد الاسبان بعث المولي اسماعيل برسالة تهنئة الي اسطانبول للسلطان العثماني أحمد الثالث لكن سوء التفاهم سرعان ما تجدد و ذلك لتمسك السلطان العثماني كأسلافه من سلاطين آل عثمان في أن يعترف لهم

[73] - موسي شرف : مرجع سابق ، ص 57.

[74] - سامح عزيز ألتر:مرجع سابق ،ص 442.

[75] - محمد علي الداهش : مرجع سابق ، ص 167.

المغرب بالسيادة الاسمية لكن مولاي اسماعيل كأسلافه من العلويين أو السعديين قبلهم تمسك بلقب أمير المؤمنين ورأي احقيته من العثمانيين بالزعامة الروحية للمسلمين [76]

ومع وفاة السلطان المغربي سادت الباد حالة من الاضطرابات بسبب الصراع بين أحفاده علي السلطة الي جانب تدخلات السلطة العسكرية التي أنشأها (جيش البخاري) في الشؤون الداخلية و تشجيعهم للعناصر الدينية من الطرق الصوفية واستمرت هذه الحالة الي غاية 1757م حينما تولي السلطان محمد بن عبد الله [77] وتركت الحدود بين الجزائر و المغرب حرة وخالية من أي هجمات من الجانبين فقد اشتغل المغرب بأزماته الداخلية الخطيرة في حين اهتمت الجزائر بمشاكلها السياسية و كذا صراعها مع ولاة تونس البيات الحسينيين فشغلها ذلك تماما عما يدور في المغرب من أحداث[78]

2. العلاقات العلوية مع البلاد العربية :

[76] - موسي شرف : مرجع سابق ، ص 61.

[77] - محمد علي الداهش : مرجع سابق ، ص 168.

[78] - موسي شرف : مرجع سابق ، ص62.

اتسمت علاقات المغرب مع باقي دول العالم الاسلامي علي النقيض تماما من علاقة المغرب بالجزائر بالمودة والتواصل الثقافي و الديني من جهة و المجاملة و الاحترام المتبادل من جهة .[79]

أ- مع تونس :

جمعت المغرب وتونس علاقات تعاون ولعل أبرز مثال عن ذلك ما حدث في عهد السلطان مولاي اسماعيل الذي أبرم معاهدة صداقة و تجارة مع فرنسا و مثلها مع باي تونس مراد بن علي (1696_1703) واتفقا معا علي مهاجمة الجزائر في زمن واحد من الشرق و الغرب [80].

وكان السلطان محمد بن عبد الله الذي سار علي نهج جده اسماعيل في علاقته مع حكام تونس كانت له مراسلات سرية مع باشا تونس وشيوخ قبائل تلك النواحي ، كما أشارت المصادر الي الزيارة التي قام بها السلطان المغربي الي تونس في اكرام الوفد المغربي و الترحيب به و مما يؤكد متانة العلاقات موقف سلطان المغرب من قصف الأسطول الفرنسي لمدينة سوسة التونسية سنة 1776 م اذا وجه السلطان رسالة شديدة اللهجة الي ملك فرنسا لويس الخامس عشر مع سفيره أحمد الغزال بتاريخ 1776م احتج فيها بشدة علي الموقف الفرنسي و أعطاه مدة أربعة أشهر ليسحب أسطوه من السواحل التونسية والا فسيشهر الحرب ضده [81]

ب- مع طرابلس الغرب :

عرفت ليبيا محمد بن عبد الله أميرا قبل أن تعرفه سلطانا وذلك عندما نزل بها ضيفا مع جده 1730م مع الوفد المغربي المتوجه للحجاز لأداء فريضة الحج و قد حظي بتقدير كبير لدي الليبيين الذين رحبوا و تنافسوا علي ضيافته فلما أصبح سلطانا للمغرب وثق علاقته بها ، ففي

---

[79] - موسي شرف : علاقة المغرب بالدولة العثمانية و ايالاتها في بلاد المغرب العربي في النصف الثاني من القرن 18 م ، مجلة مقاربات ،ع18 ،مج2، جامعة الجلفة ، 2017 ، ص 417.

[80] - حنيفي هلايلي : مرجع سابق ، ص 70 .

[81] - موسي شرف : مرجع سابق ، ص ، ص 240، 241 .

سنة 1776م تقدمت ليبيا بمساعدات غذائية للمغرب بعدما أصابته المسغبة و مافتئت ليبيا تأخذ برأي السلطان المغربي خاصة في ظروف علاقاتها الصعبة مع الدول الأوروبية لاسيما وأنها كانت عرضة لمضايقاتهم ، وقد تحدثت المصادر عن مساعدة السلطان المغربي و ارساله للسفن المحملة بالقمح الي ليبيا بعد أن أصابها القحط و تحدثت عن توسط سلطان المغرب بين ليبيا و الولايات المتحدة الأمريكية بغية تجنيبها الحرب [82].

و في اطار تمتين العلاقات الودية مع ليبيا تزوج السلطان سليمان بنت كبير عرب الحنانشة سيف النصر بطرابلس و كانت أختها زوجة السلطان اليزيد[83].

ج - العلاقات العلوية مع مصر وبلاد الحجاز :

حاول السلطان اسماعيل تمتين علاقاته بأمراء المشرق العربي و علمائه البارزين لما يجمع المغرب بالأقطار العربية من عناصر ثقافية مشتركة كالدين الاسلامي ، اللغة العربية و التاريخ المشترك فقد بعث رسالة الي امير الحرمين الشريفين سعد بن زيد و رسالة جوابية الي الامام العلامة أبي عبد الله محمد الخرشي المصري يشكره فيها علي تهنئته بتحرير العرائش من الاسبان [84].

أولا . مع مصر : اذا كان الاتصال بين حكام المغرب و مصر قد توقف ردحا من الزمن في عهد السعديين في القرن 16م فان العهد العلوي شهد طفرة في تاريخ العلاقات بين البلدين بداية بعهد المولي اسماعيل الذي يحتفظ له الأرشيف المصري برسالة وجهها الي مصر من أجل شراء المماليك ليكونوا ضمن تعداد جيشه [85].

---

[82] - موسي شرف : مرجع سابق ، ص 417 .

[83] - نصيرة كلة : مرجع سابق ، ص 414.

[84] - مرجع نفسه ، ص 413 .

[85] - موسي شرف : مرجع سابق ، ص 173.

ولقد بلغ تمتين العلاقات بين المغرب و مصر الي درجة التمثيل السياسي حيث صار يوجد بمصر قنصلية مغربية تهتم بالنظر في أمور المغاربة بها و بالاسكندرية و أعمالها ، و كان للقنصل المغربي الحق في أن يستنيب عنه بالاسكندرية و غيرها من المدن و القري التي يستوطنها المغربة و قد وجد أول قنصل مغربي بمصر أواخر عهد السلطان سليمان [86]

ثانيا . مع بلاد الحجاز: ان الصلات بين أشراف الحجاز وأمراء الأسرة العلوية في المغرب قديمة اذ تمتد الي المولي محمد ابن الشريف فقد كانت له معهم مراسلات عديدة بحكم صلة القرابة للبيت النبوي وكذا في أعقاب الخلافات التي كانت تنشأ من حين لاخر بين أشراف مكة وأشراف المدينة و التي كان الولاة الأتراك يغذونها ويستفيدون منها [87].

ولا أحد يذكر تفوق المغربة في التعلق بتلك الديار و قد ظهر أثر هذا التعلق فيما دونة من رحلات وفيما كانو يرسلونه ولايزالون من وفادات بل ويخصصونه من استقبلات صادقة لكل الواردين عليهم من تلك الديار التي شدتهم اليها أكثر من و شيجة [88] .

3 . العلاقات العلوية مع الدول الأوروبية :

. لم تخلو العلاقات المغربية الأوروبية من أزمات و صراعات دامية فكانت متأرجحة بين السلم و الحرب و عرفت هذه العلاقات منحى آخر من تبادل الأسرى و عقد معاهدات سياسية و تجارية .

أ . مع إسبانيا و البرتغال :

. كانت علاقات المغرب مع إسبانيا و البرتغال أقل نشاطا من إنجلترا و فرنسا فمن جهة كان المغرب في حالة حرب مع إسبانيا بسب ثغوره المغتصبة و من جهة أخرى فإن العلاقات التجارية التي كان

---

[86]- نصيرة كلة : مرجع سابق ، ص 414.

[87] - موسي شرف : مرجع سابق ، ص 135.

[88] - محمد عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور الي اليوم ، مج 10 ، دط ، مطابع فضالة ، المحمدية المغرب ، 1988، ص 182.

يفترض أن تكون أوسع نطاقا مع كل من إسبانيا و البرتغال ظلت خاضعة للهيمنة التي فرضتها إنجلترا بمراقبتها للملاحة التجارية و إستقرارها بجبل طارق [89] .

أولا . مع البرتغال :

. تحدثت المصادر التاريخية عن السفارة البرتغالية التي كانت بالبلاط المغربي و بالذات في قصر البديع بمدينة مراكش و ذلك في سنة 1677 م حيث أبلغ المولى إسماعيل حاكم الجديدة في ذلك العهد كريستوف ألماظا أنه يرغب في محادثته حول أمور تتعلق بمدينة الجديدة و قد بلغ التوتر بين المغرب و البرتغال أوجه سنة 1691 م عندما وردت السفارة البرتغالية إلى مكناس لمفاتحة المولى إسماعيل من جديد في شأن تحرير الأسرى البرتغاليين متجاهلة مطالبه في الرحيل رعن مدينة الجديدة أولا و بعد وفاة المولى إسماعيل و تعبيرا عن عدم الرضى نجد المولى عبد الله إبن إسماعيل تجاهل تحرير الأسرى البرتغاليين الموجودين تحت قبضبته [90]

. تحريرمدينة الجديدة :1768

خطط الملك محمد الثالث لتحرير مدينة الجديدة عقب توليه الحكم و حاصرها بسبعين ألف رجل مما جعل المحتلين البرتغاليين يغادرون المدينة بعد العديد من الاشتبكات .

وبعد الجلاء من المدينة عمد البرتغال الي تحسين علاقته بالمغرب الذي رحب بالمبادرة حيث قدمت السفارة البرتغالية محملة بالهدايا المتنوعة وتم ابرام اتفاقية في 17 نوفمبر 1773م بعد العديد من المفاوضات تحت اشراف الامير عبد السلام ، وكانت كل بنودها توطد الصلات التي تربط المغرب بالبرتغال بعد تحرير مدينة الجديدة حيث كان المغرب بضمن المصلحة الاقتصادية

[89] . إبراهيم حركات : مرجع سابق ، ص 58 .

[90] . عبد الهادي التازي: الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب ، ط1 ، ج3 ، دار النشر للمعرفة ، المغرب ، 2002 ، ص 205.

و يوفر الحرية الدينية لسائر اعضاء الجالية البرتغالية ويساند المغرب البرتغال ضد الذين ينالون من سيادته و كذلك تقابله مناصرة البرتغال للمغرب .[91]

-عرفت العلاقات المغربية البرتغالية ظروف ممتازة استمرت طول حياة السلطان المولي سليمان واستمرت العلاقات الرسمية بينهما الي ان اضطر المغرب الي قبول الحماية الاجنبية.[92]

ثانيا .مع إسبانيا :

-في عام 1677 م ورد على المولى إسماعيل 8 من القساوسة و معهم أموال عظيمة لبناء معبد و مستشفى لهم بمدينة فاس و تطوان على أن يؤدوا لهفي كل سنة 1200 لويز لكنهم رجعوا بغير نتيجة [93] .

-و في سنة 1681 **حرر المعمورة من الإسبان ثم العرائش** حيث عرض عليهم المولى الجلاء من العرائش و هنا إستبدل الناس النعال السود بالنعال الصفراء الزاهية الالوان و في الوقت الذي كانت فيه المفاوضات قائمة حول تحرير الأسرى و الهدايا الإسبانية في طريقها إلى مكناس قام المولى إسماعيل بمحاصرة أصيلا لتحريرها من الإسبان الذين تغلبوا عليها بإنهيار دولة السعديين و قاموا بإسترجاعها و هنا كان المولى مصمما على إسترجاع الثغور من يد الإسبان حيث إتجه بكل بكل قوته نحو سبتة ومليلة و بادس حيث إتجه نحو سبتة و أمر بحفر الخنادق ودعى الجيش إليها و كان أمله في إسترجاع سبتة عن طريق بريطانيا و هذا أثناء الصراع الإمبراطور

---

[91] - المرجع نفسه ، ص 206.

[92] - نفسه ، ص ، ص 210 ، 211.

[93] . مولاي عبد الرحمان بن زيدان : المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف ، تحق : عبد الهادي التازي ، ط1 ، مطبعة إديال ، الدار البيضاء ، 1993 م ، ص 175 .

النمساوي و معه حلفاؤه (إنجلترا ، هولندا ، إيطاليا) ضد ملك اسبانيا وهنا تمكن المولى اسماعيل من طرد الإسبان عن سبتة و بادس [94]

كانت العلاقات الاسبانية المغربية تجري من سئ إلى أسوأ[95] و نذكر أهم الصادرات الاسبانية إلى المغرب في هذه الفترة بعض أنواع الثياب بينما كانت الواردات أكثر أهمية حيث يدخل فيها الفولاذ و الحديد و الذخائر الحربية [96].

ثالثا. مع فرنسا :

- كانت طبيعة العلاقة المغربية الفرنسية تتأرجح بين السلام و الوئام تارة و بين التوتر الى حد القطيعة تارة أخرى.

- رغم انشغال الرشيد بتوحيد البلاد سعى الى ربط علاقات تجارية مع الأوربيين رغبة في الحصول على العدة العسكرية لمواجهة خصومه حيث قدم الملك لويس الرابع عشر [97] رسالة في 19 نوفمبر 1665 يعرب فيه عن رغبته في إقامة علاقات الصدقة و التجارة بين البلدين و لهذا الغرض التجاري العسكري رخص السلطان الرشيد للتاجر الفرنسي رولان فريجوس الإقامة بالحسيمة، التي كانت أول نافذة علوية على البحر و بعث السلطان إلى العاهل الفرنسي كاتبا جوابيا مع التاجر أعلمه فيه على موافقته مطالبه المقدمة وإستعداده لضمان أمر التجار الفرنسيين بالمغرب [98] .

---

[94] - عبد الهادي التازي : مصدر سابق ، ص172 .

[95] - نفسه ، ص 181 .

[96] - ابراهيم حركات : مرجع سابق ص 59 .

[97] .أشهر ملوك فرنسا ولد سنة 1638 باشر أمور ملكه سنة 1661 م توطدت السلطة في عهده حيث عرفت فرنسا أيامه إصلاحات كثيرة و حققت تقدم كبير و توفي سنة 1715 م . ينظر : محمد الصغير اليفارني : روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف ، تحق : عبد الوهاب المنصور ، ط 2 ، المكتبة الملكية ، الرباط ، 1995 م ، ص 97 .

[98] .نصيرة كلة : مرجع سابق ، ص 415 .

. دشنت فرنسا أول لقاء مع الدولة العلوية أيام السلطان المولى الرشيد بتاريخ 1666 م من طرف رولاند فريجس و لم تكن تلك الرسالة الوحيدة بين الطرفين بل ذكرت المصادرالعديد من المراسلات بينهما في الكثير من القضايا كالمفاوضة في شأن تبادل الأسرى و هنا كتب المولى إسماعيل إلى لويس في 1681 يؤكد إفراجه عن الأسرى [99] .

ـو ظهرت بوادر إنفراج جديدة في العلاقات المغربية الفرنسية حيث أنه و بالرغم من أن البلاد تعرضت في أعقاب وفاة المولى إسماعيل إلى رجات داخلية عنيفة إستمرت المراسلات مع البلاط الفرنسي [100] .

ـكما شهدت فرنسا العديد من السفارات المغربية بها خاصة في عهد السلطان إسماعيل نذكر منها : سفارة دبلون الحاج و هو أحد رعايا السلطان إسماعيل بتطوان كان بصحبة القنصل إيشتيل لفرض التحالف ضد الإسبان من أجل تحرير المراكز المحتلة بالمغرب و خاصة بسبتة لكنه فشل بذلك ، كذلك بعثة علي بن عبد الله الحمامي التمسماني قائد تطوان و سفير البلاط الفرنسي لكنه أيضا فشل ، و سفارة الحاج محمد تميم حيث كان أول سفير للسلطان إسماعيل لدى الملك الفرنسي لويس الرابع عشر و كان الهدف وراء هذه السفارة هو إيجاد حلول للتفاوض حول شروط السلم خاصة بعدما رفض لويس الرابع عشر التوقيع على معاهدة المعمورة سنة 1681 م .[101]

.و ظلت العلاقات على هذا المنحى حتى إحتلال الجزائر سنة 1830 م و ردة فعل السلطان المغربي في إستقبال المهاجرين و مساندتهم بالعدة و العتاد التي أثارت غضب السلطات الفرنسية التي خططت لفرض الحماية عليها و هو ما تم بالفعل .

---

[99] .عبد الهادي التازي ، الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب ، مرجع سابق ، ص ، ص 151 ، 152 .

[100] .نفسه ، ص 159 .

[101] .نصيرة كلة : مرجع سابق ، ص 418 .

رابعا. مع إنجلترا :

.كنت قد تحدثت عن العلاقات الإنجليزية المغربية في العهد السعدي و أبرز أحداثها و تطوراتها و التي إستمرت حتى في بداية العهد العلوي بعقد تحالفات عديدة لتحرير الأسرى و التعاون ضد الإسبان كمعاهدة 1638 م و هي معاهدة سلام و صداقة بين البلدين أكدت على حرية التجارة و عدم أسر الإنجليز و إطلاق سراح الأسرى دون أي فدية و تعهد السلطان بمنع أهالي سلا الجديدة من القيام بأي أعمال قرصنة ضدهم [102] .

ـو في سنة 1661 م أخذت العلاقت إتجاه آخر بعد توقيع إتفاقية الزواج الإنجليزية البرتغالية سلم على إثرها البرتغاليون مدينة طنجة لهم ، و حينئذ بدأت الهجمات المغربية على المدينة برئاسة غيلان الذي فشل في البداية مما دفعه إلى عقد معاهدة هدنة بينهما لكن فورإنتهائها سنة 1664 م عاود غيلان مهاجمتها [103] .

ـو في أيام السلطان المولى الرشيد سجلت بداية تجديد العلاقات بينهما و ذلك لتطوير تجارة الطنجة التي كانت تحت السيطرة الإنجليزية و لمعالجة قضية الأسرى الموجودة بالمغرب كما تحدثت .

.و عندما توجه اللورد هنري هوارد إلى طنجة في سنة 1669 م وجدت إنجلترا نفسها وجها لوجه مع السلطان المولى إسماعيل الذي ضغط على طنجة بعد قضائه على غيلان [104] ، و ظلت العلاقات بين التفاوض و عقد الصلح و الصراع إلى غاية 5 نوفمبر 1683 م عندما أمر الملك الإنجليزي

---

[102] .ب . ج . روجرز : مرجع سابق ، ص 71 .

[103] .نفسه ، ص.ص 70. 72 .

[104] .عبد الهادي التازي : الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب ، مرجع سابق ، ص 185 .

بالخروج من طنجة و توقيف مختلف هجوماته على الساحل المغربي نتيجة الضغوطات المستمرة من قبل المغاربة .[105]

.و بعد إسترجاع طنجة عادت العلاقات المغربية الإنجليزية بالرغم من أن كلا الطرفين لم يتوصلا إلى إتفاق حول تحرير الأسرى الأوربيين و هكذا توترت العلاقات من جديد بين المولى إسماعيل و وليام الثالث ، و بعد وفاته (ويليام) سنة 1702 م كانت الملكة الجديدة بحاجة إلى الملك المغربي ليساعدها في جبل طارق الذي إحتلته و رأى السلطان أن في نزول إنجلترا بجبل طارق فرصة لطلب مساعدتها على تحرير مدينة سبتة و لم تلبث إنجلترا بعد تمكين أقدامها بجبل طارق أن أرسلت بقيادة جورج بادرون لطلب إقامة هدنة بحرية بين البلدين و تحرير المزيد من الأسرى و بعد إرسال سفارة برسالة شارل ستيوارت جرت المفاوضات و المحادثات التي أدت إلى عقد إتفاقية سلام و تجارة بتاريخ 1722 م .[106]

المحاضرة رقم 7 .الحماية الفرنسية على المغرب :

تمهيد عام :

شكل القرن 19م منعطفا خطرا في تاريخ المغرب حيث أصبح محط أطماع القوى الأوربية التي استغلت تفوقها العسكري والإقتصادي لممارسة ضغوطات على المغرب لمواجهة هذه التطورات المستجدة قام المخزن بمحاولات إصلاحية إلا أن الإستعمار حد من فعاليتها وأدى إلى إفشالها . سعت الضغوطات الإستعمارية إلى إخضاع المغرب تحت سيطرتها.

1.الأوضاع العامة للمغرب قبيل فرض الحماية الفرنسية سنة 1912 م :

أ .الأوضاع الداخلية :

---

[105] .ب.ج. روجرز : مرجع سابق ، ص 98 .

[106] .عبد الهادي التازي : الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب ، ص ، ص 186 ، 187 .

أولا . الوضع السياسي :

. كان المغرب تحت حكم الأشراف العلويين الذين قسموا البلاد إلى أقاليم و مدن و نواحي صغيرة فأسندت الأقاليم الكبيرة إلى موظف يعرف بالخليفة يساعده في ذلك وزير و دائرة خاصة للإشراف على أعمال القوات و العمال و يرأس البلاد باشوات يحفظون الأمن و يشرفون على جباية الأموال [107] ، أما الحكومة المركزية التي تعرف بالمخزن خلال حكم الحسن الأول كانت تتكون من الوزير الأعظم و وزير البحر (وزير الشؤون الخارجية) و العلاف (وزير الحرب) و أمين الأمناء (وزير المالية) و وزير الشكايات (وزير العدل) و يتولى السلطان السلطة الدينية و السياسية [108] ، و رغم أن المولى الحسن الأول حاول تدعيم السلطة و تحصين البلاد إلا أن الحالة إزدادت سوءا [109] ، و بعد وفاة السلطان المولى الحسن 1894 م و أخذ البيعة بعده للمولى عبد العزيز الذي لم يبلغ سن 14 إستولى الوزير أحمد على مقاليد الأمور و إستطاع السيطرة على البلاد بحزم حتى وفاته في 1990 م فتدهورت الإدارة من الوزراء بإستغلال صغر سن السلطان و قامت تمردات داخلية أثقلت كاهل الخزينة حيث إضطر السلطان الإستدانة من الخارج لمواجهة التمردات الداخلية [110].

ثانيا . الأوضاع الإقتصادية :

. إتسمت الحياة الإقتصادية بالركود و البطالة التي إخططها نظام الحكم لنفسه و فرضت عليه و رافق ذلك الإعتماد على سياسة القروض المالية الدولية و تراكم الديون فشجع هذا الواقع

---

[107] . محمد بن عبد الكريم الخطابي : صحفات من الجهاد و الكفاح المغربي ضد الإستعمار ، تحق : محمد علي داهش ، ط1 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2002 م ، ص ، ص 20 ، 21 .

[108] . الطيب بياض : المخزن و الضريبة و الإستعمار (ضريبة الترتيب) 1880 م . 1915 ، دط ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، د ت ، ص 70.

[109] . شوقي عطا الله الجمل : مرجع سابق ، ص 312 .

[110] . شوقي عطا الله الجمل : مرجع سابق ، ص،ص 315 ، 316 .

الدول الأوروبية على الإندفاع للسيطرة على المغرب [111] ، و في مقام آخر كبس المخزن أنفاس فئة التجار المغاربة و إحتكر تجارة العديد من المواد بإعتماد وسطاء و سماسرة يهود و أجانب فلم يعد حلم التجار المغاربة يتجاوز نيل حظوة المخزن و كسب ثقة السلطان دون التفكير في تكوين طبقة برجوازية طموحة [112] ، و عندما إمتنع التجار الأوروبيون عن دفع الضريبة للمخزن سعى هذا الأخير إلى فرض غرامات مالية على السكان زادت من حدة تالفقر و الأزمات الإقتصادية ماجعلهم يقبلون على النشاط الزراعي و الرعوي أكثر من التجارة حتى أصبحت مصدر رزق و عيش السكان [113] .

.كما شهدت البلاد تدهور قيمة النقد و غلاء الأسعار و ضربت الفوضى أطنابها في الإدارة فكانت الوظائف تباع و تشترى ووصلت الحالة إلى أن الموظفين حتى القضاة يعتمدون على ما يأخذونه من المتخاصمين و ليس على ركب الدولة فقط [114] .

.تلك هي أهم الظواهر التي طبعت الإقتصاد القروي لمغرب نهاية القرن 19 م و بداية القرن 20 م و جعلته لا يتجاوز حدود القلة و الكفاءة بل ظل غير قادر على ضمان تغذية ساكنيه بشكل منتظم و توفير ما من شأنه تحريك عجلة النماء و لعل ما زاد الإنسان القروي بؤسا هو تظافر عوامل مكملة جعلت شغله الشاغل ينحصر في تأمين معاشه و من تلك العوامل الإجتياح لجحافل الجراد مثل الجراد الذي إجتاح البلاد في جهات مختلفة 32 مرة من 1800 م إلى 1912 م [115].

ثالثا .الأوضاع الإجتماعية :

---

[111] .ثامر عزام الديلمي : الإدارة الفرنسية في المغرب 1939 م .1956 م ، ط1 ، دار غيداء ، عمان ، 2017 م ، ص 11.

[112] .الطيب بياض : مرجع سابق ، ص 78 .

[113] .محمد العربي معريش : المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول (1873 م .1894 م) ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1989م ، ص 130.

[114] .شوقي عطا الله الجمل : مرجع سابق ، ص 314.

[115] .الطيب بياض : مرجع سابق ، ص 32 .

ـ لقد وصلت الأحوال الإجتماعية في المغرب في آواخر القرن 19 م و أوائل القرن 20 م حالة من الضعف لم يسبق لها مثيل كما يقول إبن خلدون فقد إنتشرت المجاعات في البلاد [116] ، فلقد سجل رئيس البعثة العسكرية الفرنسية المرافقة للحسن الأول أنهم وجدوا في طريقهم و هم يعبرون منطقة حاحة سنة 1882 م جثث أشخاص قضوا في منازلهم من جراء المجاعة [117] ، و مما زاد الأمر سوءا غلاء الأسعار و إنتشار الأوبئة التي كانت تحصد السكان بالمئات خاصة الخصومات القبلية و الثورات الداخلية المتعدده مما أدى إلى تدهور الأوضاع أكثر [118]

ب . الأوضاع الخارجية :

ـ ساءت الأوضاع الداخلية و الخارجية في المغرب بعد إحتلال الجزائر سنة 1830 م فكان الإحتلال الفرنسي للجزائر إيذانا ببداية النهاية لإستقلال المغرب [119] ، ففور سماع السلطان المغربي بخبر الإحتلال باشر بمراسلة القائد محمد أشعاش الذي كان قد رفع إليه تقريرا مفصلا واردا عن القنصل المغربي بجبل طارق بن عليل في 31 جويلية 1830 م .

ـ ثم تم إستقبال السفير الفرنسي يوم 22 مارس 1832 م بمكناس التي كانت تحتضن في الوقت ذاته وفدا هاما من تلمسان فقد بدأت في أعقاب هذا اللقاء المحادثات السياسية بين الجانبين و تجلت أهداف السفير الفرنسي في : تخلي المغرب عن تلمسان ، رفض إستقبال الوفد الجزائري الموجود بمكناس، إلتزام المغرب بإلتزام الحياد في قضية الإحتلال الفرنسي ، عدم تعيين المغرب

---

[116] . شوقي عطا الله الجمل : مرجع سابق ، ص 314 .

[117] . الطيب بياض : مرجع سابق ، ص 33.

[118] . شوقي عطا الله الجمل : مرجع سابق ، ص 314.

[119] . فادية عبد العزيز القطعاني : الحركة الوطنية المغربية 1912 .1937 م ، مجلة الجامعة ، مج 1 ، ع 16 ، جامعة بنغازي ، دم ، 2014 م ص 38 .

لأي دبلوماسي يقوم برعاية المصالح المغربية بالجزائر ، إرجاع البواخر الثلاثة الملتجئة إلى السواحل المغربية ، و أخيرا تسهيل العلاقات التجارية .[120]

.و في هذه الأثناء تم إستبدال القنصل الفرنسي بالمغرب و عين ميشان في 27 مارس 1833 م ، و أمام إستقبال المهاجرين الجزائريين برا و بحرا من قبل المغرب و غض الطرف من قبل الملى عبد الرحمان على تحذيرات فرنسا المتكررة تقرر إرسال البارون فريديريك دولاري كسفير لدى السلطان من أجل تقديم إحتجاج و تهديد المغرب بعواقب تشجيعه للأمير عبد القادر و بتوالي المناصرة قررت فرنسا لإرسال بعثة جديدة إلى البلاط المغربي برئاسة أنطان دونيون في 24 يناير 1840 م و نتيجة كل هذه الأحداث الحاكم المغربي رسالةيؤكد ةفيها إنحيازه في 20 أ فريل 1844 م[121] ، إلا أن فرنسا تأكدت من حقيقة الموقف المغربي إتجاه القضية الجزائرية و دعم الأمير عبد القادر شنت غارات عسكرية على حدود المغرب من منطقة وجدة و أقاموا مراكز عسكرية في لالا مغنية و إزاء ذلك أرسل السلطان قواته إلى الحدود مع الجزائر إستعدادا لمحاربة الفرنسيين فأدى تطور الأوضاع العسكرية إلى نشوب معركة بين فرنسا و المغرب بقيادة السلطان عبد الرحمان إنتهت بهزيمة الجيش المغربي عند وادي إيسلي غرب وجدة 1844 م [122] ، ثم أرسلت فرنسا قواتها من جديد لتدخل خليج طنجة في فاتح غشت 1844 م و تم قصف المدينة في يوم 16 غشت من قبل البواخر السويدية البرتغالية الدانماركية الإسبانية و ذلك بعد إجلاء الفرنسيين عن الأهداف المقصودة [123] ، و قد كانت فرنسا قادرة على الإستمرار في التقدم لكن الإنذار بحرب

[120] .عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، مج 10 ، ص ، ص 9 ، 10.

[121] .المرجع نفسه ، ص ، ص 11 ، ، 13 12 .

[122] .فادية عبد العزيز القطعاني : مرجع سابق ، ص 39.

[123] .عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، مج 10 ، ص 13.

إنجلترا جعلها تتراجع و أجرت مفاوضات إنتهت بإتفاقية طنجة 10 سبتمبر 1844 م ثم إتفاق لالا مغنية 18 مارس 1845 م .[124]

ـ فأمام تكالب الدول الأوروبية على المغرب وجد السلطان المغربي نفسه ملزما بعقد إتفاقيات و معاهدات للحفاظ على الإستقرار الداخلي و منها :

1ـ المعاهدة البريطانية المغربية : عقدت في 9 .12 .1856 م و هي معاهدة سلم و صداقة بين الدولتين حصلت فيها بريطانيا على إلتزامات لها و لرعاياها المقيمين بالمغرب فكان لهم الحق في السفر و إختيار السكن حيث يشاؤون مع الإعفاء من الضرائب و إحترام ديارهم و متاجرهم دون أن يتعرض لهم أحد بالتفتيش [125] .

2ـ المعاهدة المغربية الإسبانية : تمت في 10 .8 .1859 م جاءت بعد أن أقدم بعض القبائل على هدم مراكز المراقبة التي بناها الإسبان و قتلوا بعض الجنود ففرضت إسبانيا على القبائل شروطا قاسية و بمقتضى معاهدة ثنائية 26 .4 .1860 م تحلى المغرب عن أجزاء من أراضيه مع إنشاء كنيستين بفاس و تطوان [126].

3ـ المعاهدة المغربية الفرنسية : تمت في 19 .8 .1863 م كانت المعاهدة و الإتفاقية الموقعتان آنفا مع المغرب حافزا لفرنسا للمطالبة بالمثل و لم يمض وقت طويل حتي شرعت فرنسا في مفاوضة المغرب ووقعت معه معاهدة تحصلت بموجبها علي إمتيازات ترعى بها مصالحها التجارية في البلاد و أكدت بدورها على حماية الأشخاص المغاربة [127] ، و أمام إزدياد الأطماع الأوروبية في المغرب سعى الحسن الأول إلى عقد مؤتمر للنظر في التجاوزات و تقليص الإمتيازات و شهادات التجنيس

---

[124] . فادية عبد العزيز القطعاني : مرجع سابق ، 39.

[125] . عبد الوهاب بن منصور : مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد 1880 م ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1985 م ، ص 137 .

[126] . فادية عبد العزيز القطعاني : مرجع سابق ، ص 40.

[127] . محمد العربي معريش : مرجع سابق ، ص ؤ40 .

التي تمنحها الدول الأوروبية لرعاياها و تم إنعقاد المؤتمر في 16 ماي 1880 م بمدريد بحضور 12 دولة (ألمانيا ، النمسا ، بريطانيا ، فرنسا ، بلجيكا ، الدانمارك ، إسبانيا ، البرتغال ، السويد ، أمريكا ، إيطاليا و هولندا) و بعد الإجتماعات خلص المؤتمر إلى توقيع على إتفاقية تحدد الحماية و تجنيس الموظفين و في حقيقتها إعتراف للإمتيازات الأوروبية في المغرب [128] ، و بعد وفاة المولى حسن الأول تولى البيعة المولى عبد العزيز و في عهده ضعفت الدولة فتم عقد مؤتمر الجزيرة الخضراء في 1906 م للنظر في مصالح الدول الأوروبية و كانت نتائجه لصالح إسبانيا و فرنسا و إزاء ذلك أعلن الشعب خلعه للسلطان عبد العزيز والبيعة لأخيه عبد الحفيظ واشترطوا عليه رفض مقررات الجزيرة و إرجاع الأراضي المغتصبة و تطهيرها من الحمايات الأجنبية إلا أن تصاعد التدخلات الخارجية والحرب التي أثارتها إسبانيا علي قبائل مليلة و الغارات الفرنسية علي المناطق الشرفية بحجة مطاردة المنشقين الجزائريين و الحملات التأديبية ضد القبائل أجبرت السلطان علي توقيع الحماية سنة 1912 م [129] .

2 . الحماية الفرنسية على المغرب :

ـ إتجهت فرنسا لعقد سلسلة من الإتفاقيات الدولية مع الدول صاحبة المصلحة في المغرب قبل أن تتخذ خطوة حاسمة تحقق بها أهدافها التوسعية في هذه البلاد :

1ـ الإتفاق الفرنسي الإيطالي : كانت لإيطاليا أطماع في دول المغرب الثلاث التي كانت في وقت من الأوقات جزء من الإمبراطورية الرومانية لذا وقفت إيطاليا موقف عدم الرضى لإمتداد النفوذ الفرنسي على الجزائر و تونس و حاولت فرنسا الإتفاق مع إيطاليا لتقلع عن سياستها و فعلا

[128] . محمد المنوني : مظاهر يقظة المغرب ، ج 1 ، ط1 ، مطبعة الأمنية ، الرباط ، 1973 م ، ص 40 .

[129] . عبد الكريم الخطابي ، مصدر سابق ، ص 31 .

عقدت في عام 1902 م إتفاق تم بموجبه ترك فرنسا لإيطاليا الحرية المطلقة في طرابلس مقابل أن تترك لفرنسا حرية التصرف في المغرب [130].

3 .الإتفاق الودي مع إنجلترا و إسبانيا 1904 م : منذ أن تولى عرش إنجلترا الملك إدوارد السابع عام 1901 م أخذت العلاقات تتحسن بين إنجلترا و فرنسا بعد أن شهدت نوع من التوتر بسبب الموقف الفرنسي من التواجد الإنجليزي في مصر [131] ، و بعد مفاوضات طويلة توصلت فرنسا إلى تسوية خلافاتها مع بريطانيا بالإتفاق الودي حيث حصلت بموجبه فرنسا على حرية العمل في المغرب دون معارضة بريطانية مقابل تخلي فرنسا عن مصر للنفوذ الإنجليزي و في 7 أكتوبر 1904 م إنضمت إسبانيا للإتفاق السابق تعهدت فيه الدولتان فرنسا و إنجلترا بأن يكون شمال المغرب من نصيب إسبانيا إذا كف السلطان عن ممارسة حقوقه على تلك المناطق [132] .

ـو بعد كل هذه الإضطرابات و الفوضى التي ضربت أوساط المغرب إنتهزت فرنسا الفرصة و عرضت على السلطان عبد الحفيظ معاهدة الحماية حيث حمل الوزير الفرنسي رونيول وثيقة الحماية من باريس من أجل عرضها على السلطان عبد الحفيظ ووصل في 19 مارس 1912 م إلى القصر الكبير و أستقبل من طرف الكولونيل سيلفستر و معظم الضباط الإسبانيين ، و في 26 أستقبل من طرف السلطان و تليت عليه رسالة الحكومة الفرنسية التي كانت بمثابة تقديم للمعاهدة و تم التوقيع عليها يوم 30 مارس 1912 م [133].

---

[130] .شوقي عطا الله بجمل : مرجع سابق ، ص 317 .

[131] .نفسه ، ص 318 .

[132] .علال الخديمي : التدخل الأجنبي و المقاومة بالمغرب (1894 م .1910 م) ، ط2 ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، 1994 م ، ص 48 .

[133] .مؤلف مجهول : الحماية الفرنسية بدءها و نهايتها حسب إفادات معاصرة ، تعريب : عبد الهادي التازي ، دط ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1986 م ، ص8.